

الدلالة بين السلب والإيجاب

للدكتور إبراهيم السامرائي

وقد يقولون : عمارة أنيقة للبناءية
الفخمة الجميلة التي اعتنى في عمارتها
وتحسينها .

أقول : وليس للكلمة هذه الخصوصية
في الاستعمال فقد قيل روضة أنيق
بمعنى مأنوقة أي محبوبة .

وقالوا : أنقتُ بها أنقا أي أعجبتُ ،
وإنه مؤنق ، لكل شيء أعجبك ، فأنت به
أنق .

وتقول : أنقنى الشيء فهو مؤنق
وأنيق .

والأنق : الفرح والسرور .
وتأنق في الأمر إذا عمله بنية مثل
تنوَّق .

والأنق : النبات الحسن المعجب .
وأعود إلى شيء من تأصيل الكلمة
لأقف على أصلها المؤنث فألمحه في
قولهم: تنوَّق في عمله أي جود فيه .
وكأنني به في (ناقة) والناقة معروفة .

لقد كان لي وقفات في العربية
المعاصرة ، ومن هذه طائفة من مواد
جنح بها الاستعمال إلى خصوصية
سلبية لا تعرف إلا بها ، ولم يكن لها
شيء من هذه الخصوصية في العربية .
على أن شيئاً آخر قد انصرف إلى
خصوصية إيجابية خُصَّت بها بعد أن
كان لها من الدلالة عمومية مشهورة ^(١) .

ومن المفيد أن أدرج طائفة أخرى
اختصت بمعنى جديد ، في حين لم يبق
شيء من دلالتها القديمة لدى العربيين .
وسأعرض لطائفة من الكلم أدرجها
على حروف المعجم تدخل في هذه
الخصوصيات وهي :

١- أنق :

الأناقة أو التأنق انصرفت في العربية
المعاصرة إلى ما يتصل بـ (الملابس
الفاخرة وحاجات البيت من متاع نفيس ،
فيقال : رجل أنيق ، وامرأة أنيقة
ومتأنقة) .

وأدرك من هذا أن المواد الجميلة الدالة على الحضارة قد تسلت العربية إليها من أصول بدوية .

وقد أكتفى للدلالة على هذه المقولة بمادة واحدة هي (الجمال) وما يكون منه كالمجاملة والتجمل والإجمال . وأنا أنظر في جملة هذه الاشتات إلى لفظ (الجمال) الذي يلوح فيها فلا تشقى في الوصول إليه إذا عرفت أن البدوي القديم أحبّ الجمل ورأى فيه الحسن حتى كان له سنام (الجميل) وهو مادة ما يختزنه من الشحم فيه ، فكيف تقول إذا عرفت أن العرب رأوا الحسن والجمال في المرأة التي أصابت قدراً من امتلاء مع قسامة وإبداع : إن هذا من هنا يكون (بمنأى) من الدخول في باب الخطأ ، ولا يشمل قوله جماعة من أهل اللغة في عصرنا : قل ولا تقل .

وأعود ثانية إلى (الأناقة) التي اختصت بما عرضنا له في العربية المعاصرة حتى نسي العربون هذه المسيرة الطويلة لهذه الكلمة الحية النافعة.

٢ - بؤرة :

أقول : كأن (بؤرة) لا ترد في كلام العرب إلا مقرونة بالسلب ، فهم يقولون في عربيتنا المعاصرة مثلاً : إن الطرف الجنوبي من المدينة بؤرة للأوبئة ، وقد يذهبون بها إلى شيء من مجاز فيقولون مثلاً في نبز من لا يرضون خلقه : إنه بؤرة للرذيلة .

وأعود إلى شيء من أصلها فأجد (البؤرة) كالزُبيرة في الأرض ، وهي موقد النار وكان يقول : بأر بؤرة يطبخ فيها . وهي ذات رحم بكلمة (بئر) تقول : بأرت بئرا أي حفرتها . والبؤرة والبئيرة ، على فعيلة : ما خبيء وادخر .

فأين نحن اليوم مما كان لنا بالأمس؟

٣ - مباءة :

وترد (مباءة) في خصوصية خاصة تصلنا قليلاً بالكلمة (بؤرة) في عربيتنا المعاصرة ، فقد نسمع من يقول : إن التدخين (مباءة) للأمراض ، وكذلك يقال في الخمر .

ولنأت إلى شيء من سيرة الكلمة

فنجد أهل هذه الصنعة اللغوية التاريخية
يذكرون :

الباءة مثل الباعة ، والباء : النكاح ،
وسمي النكاح بباءة وباء من (المباءة) لأن
الرجل يتبوا من أهله أي يستمكن من
أهله كما يتبوا من داره .

وفي عربيتنا الخالدة - حرسها الله:-
للبر مباحتان : إحداهما الماء إلى جمها ،
والأخرى موضع وقوف سائق السانية .
(المباءة) : المرجع ، وباء بذنبه وبإثمه
يبوء بوءاً وبواءً أي احتمله ورجع به .

وقال تعالى : (وباعوا بغضب من الله)
أي رجعوا به .

٤ - ابتزاز^(١)

وهذه كلمة جديدة تتردد في لغة
السياسة ، والخصومات السياسية ونحو
ذلك ، فيقال مثلاً : إن الجماعة الفلانية ،
وهي طرف في نزاع ، تحتفظ بأشياء
كثيرة تخص الجماعة الأخرى التي
تناصبها الخصومة . وإن هذه الجماعة
تجعل ما تحتفظ به مادة (ابتزاز) لها .

ومن هنا اكتسبت هذه الكلمة
خصوصية تتجاوز المعنى العام للكلمة ،
وهو (السلب) أي الأخذ بقوة واستحواذ
على الشيء بالعنف ، وقد قيل : من عزَّ
بزاً ، وبزه يبزه بزاً بمعنى سلبه وغصبه
وكذلك (ابتزّه) .

وكأن الأصل هو (البز) بمعنى الثياب
، ومن هنا قيل (البزان) ، لبائع البز .
وكان من هذا (البزة) الهيئة والشارة
واللبسة .

٥ - ثور :

غلب على العربيين وسائر الناس أن
(الثور) الحيوان المعروف ، وقد نبز
أحدهم (الثورة) في دلالتها على الحمق
والغباء والقوة الغاشمة .

وكأن العربيين قطعوا الرحم بين (ثور)
(وثورة) ، وقر في أذهانهم أن الثورة
بعيدة عن الثور ومن هنا كانت (الثورة)
قوة وأصالة وتقدماً ونماء ، وكان المنهج
الثوري المنسوب إلى الثورة شيئاً من
هذا ، وهكذا كان الحزب الثوري ،

(١) كان حق هذه الكلمة أن تكون الثالثة ثم تليها (مباءة) وهو سهو مني .

والأدب الثوري والفكر الثوري، كل ذلك
منسوب إلى الثورة .

وأنا أقول : إن الثورة بدالاتها
المعنوية المجردة من الثور ، ولكن هذا
الأصل الحسي ليس الحيوان المعروف
لدى العرب ، بل هو الثور ويعني السيد .
وقد ورث العرب في الأدب القديم احترام
الثور من الأمم السامية . فقد كان الثور
نموذجاً لإله القوة والأصالة والكرم ، ومن
هنا كان له في أساطيرهم جناحان يطير
بهما ، ونصبه بهذه الهيئة مازالت قائمة
في آثار الآشوريين .

قلت : لقد ورث العرب هذه الأسطورة
التي نبصرها في قول الأعشي :
لكالثور والجني يضرب ظهره

وما ذنبه أن عافت الماء مشرباً
أقول : لقد أخطأ اللغويون حين زعموا
أن الجني هذا في قول الأعشي اسم
راع، وإني أراه بعض ما ورثه العرب من
الأساطير القديمة لدى الساميين
القدماء .

ومن هنا عرف للثور قدره في الأدب

العربي القديم فكان للسيد مجازاً حتى
سموا به أعلامهم نحو حميد بن ثور
الهلالي من الشعراء الجاهليين ، وكان
سفيان الثوري من أصحاب الحديث .

ولعل شيئاً من هذا كان لدى أهل
اليمن فقد عرفنا أن عمرو بن معد يكرب
قد كني أبا ثور .

ولا نعرف الحمق والشدة من نعوت
الثور إلا في القرون المتأخرة لدى
المتأدين .

قلت : ليس شيئاً من هذه الدلالة
السلبية كانت للثور ، وإني لأستظهر
بحديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
-عليه السلام- : إنما أكلتُ يوم أكل
الثور الأبيض ، وقد أراد بـ (الثور
الأبيض) عثمان بن عفان - رضي الله
عنه - لأنه كان سيداً وجعله أبيض لأنه
كان أبيض .

أقول : لقد قطع المعاصرون الرحم
بين الثور والثورة لأنهم نبزوا الثور
بالحمق والغباء والهيأج فكيف تكون
الثورة من الثور !! وفاتهم الأدب

الإنساني العريق الذي ورث خلاصة
العصور التي كان فيها للثور مكانة أية
مكانة .

٦- إحباط :

وهذه الكلمة جديدة لبست ثوباً جديداً
كأنما قُد من نسج جديد . نسمعها في
(الإذاعات العربية) ونقرأها في الصحف
فنجد المعاصرين يقولون مثلاً : أصاب
المجاهدين الأفغان ضرب من الإحباط
وهم يقصدون الخيبة والفشل والأذى ،
وهذا من شأنه النيل من عزيمتهم
ومضائهم وقد يدفعهم هذا الإحباط إلى
القيود والتخاذل .

أقول : إن في هذه الدلالة الجديدة
خصوصية لم تكن للكلمة في استعمالها
القديم ، قال تعالى : (فأحبط أعمالهم)
أي أبطلها وأفسدها . وقال تعالى : (فقد
حَبَطَ عمله) ، أي بَطَلَ وفسد .

قال ابن الأثير في النهاية : هو في
قولهم : حَبَطَت الدابة حَبَطًا ، إذا
أصابته مرض طيباً فأفرطت في الأكل
حتى تنتفخ وتموت .

أقول : هذا هو شئ من رحلة الكلمة
فكان من ذلك تطور في الدلالة .

٧- رجعي ورجعية :

الرجعي منسوب إلى الرجوع وهو
مصدر كالرجوع والرجعي . وهو كلمة
جديدة لا تعني الرجوع المعروف . ثم إن
الرجعية كلمة جديدة بنيت على طريقة
المصدر الصناعي كالعبقرية والأريحية
ونحوهما .

لقد صار المعاصرون إلى الرجعية
ليقابلوا بها الكلمة الأعجمية Reaction،
وهذه الكلمة الأعجمية تعني فيما وضعت
له رد فعل ، ولكن الأعاجم توسعوا في
الدلالة فراحوا يطلقونها على الالتزام
بما هو قديم مناهض للتقدم والثورة ،
وأصحاب الرجعية هم الاستعماريون
والإقطاعيون وهم الإمبرياليون في اللغة
المعاصرة أصحاب التسلط والهيمنة .
وعلى هذا يكون الرجعي هو الذي يدين
بالرجعية فكراً وسلوكاً .

٨- زهرة :

والزُهرة : الجماعة من الناس ،

والجمع زُمَر ..

أقول : ولكن المعربين في عصرنا
أكثرُوا من استعمال الزمرة والزمر في
معرض الكلام عن أهل الشر والعدوان .

ومن الطريف أن أذكر أن شيئاً من
هذا وقع في خطاب الشيخ عبد الحميد
السائح في تعريضه بجماعة شايعوا
الزعيم الفلسطيني أبا عمار . قال الشيخ:
أبو عمار وزمرته ، ثم استدرك معتذراً
وغير القول فقال : أبو عمار وأصحابه .

أقول : كأن الشيخ السائح فطن للأمر
وعلم أن الزمرة قد حملها الناس على
الشر ، فكان منه الاستدراك .

لم تكن زمرة ولا زمـر بهذه
الخصوصية ، ولكنها اكتسبتها في
استعمال المعربين الذين حرفوا الكلم عن
مواضعه دون شعور منهم ، فكثر هذا
المولد الجديد حتى طمس على الصحيح
الفصيح . قال تعالى : (وسيق الذين
كفروا إلى جهنم زُمَرا) ٧١ سورة الزمر .
وقال تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى
الجنة زمرا) ٧٣ سورة الزمر .

فأنت ترى أن الزمر انصرفت إلى
الذين كفروا في الآية الأولى ، وإلى الذين
آمنوا في الآية الثانية ، فأنتى لهذه الكلمة
أن تقرر بالشر في عريتنا المعاصرة ؟ !

٩ - سوق :

السوق مصدر الفعل (ساق يسوق)
وهو يوحى بالشدة ويدل على هذا قوله
تعالى : (ونسوق المجرمين إلى جهنم
ورداً) ٨٦ سورة مريم .

وقوله تعالى : (وسيق الذين كفروا إلى
جهنم زمرا) ٧١ الزمر .

وقوله تعالى : (كأنما يساقون إلى
الموت وهم ينظرون) ٦ سورة الأنفال .

وقوله تعالى : (وجاءت كل نفس معها
سائق وشهيد) ٢١ سورة ق .

على أننا نقرأ قوله تعالى : (وسيق
الذين آمنوا إلى الجنة زمرا) ٧٣ سورة
الزمر .

وكأن السوق في هذه الآية الأخيرة
يقع على الذين آمنوا ، فلا يشعر بالشدة
كما هو في الآيات التي أوردناها قبل
هذه الآية .

ونقف على السوق في آيات أخرى
فنلمح دلالة العموم التي لا تشعر بغير
الحركة ، وذلك في قوله تعالى : (حتى
إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميث
فأنزلنا به الماء) ٥٧ سورة الأعراف .

ونقف على شيء من الحديث الشريف
فنجد :

(لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من
قحطان يسوق الناس بعصاه) .

أقول : وذكر العصا مع السوق يشير
إلى عسف السائق وخشونته .

وردد (رويدك سوقك بالقوارير) وهذا
يوميء بشيء من عسف السائق لما يسوق
والكثير فيه من الإبل ، والقوارير كناية
عن النساء ، ومع ذلك كان يسوق معها
دالا على العسف . ومن هذا جاء :
(انسأقت الإبل ، وتسأوقت بمعنى
تتابعت فهي متساوقة) .

وفي حديث أم معبد : « فجاء زوجها
يسوق عنزا ما تسأوق » ، أي ما تتابع ،
والمساوقة المتابعة ، كأن بعضها يسوق
بعضاً .

وقالوا : وسأق إليها المهر والصدأق
سياقاً ، وإن كان دراهم ودنانير لأن
أصل الصدأق أو المهر عند العرب الإبل
، وهذه تسأق ، والسياق : المهر ، لأنه
في الغالب إبل تسأق .

أقول : وما زال السياق بمعنى المهر
للمرأة في عامية بعض القرويين في
العراق .

وفي صفة مشيه - عليه السلام - :
كان يسوق أصحابه ، أي يتقدمهم
ويمشي خلفهم تواضعا ، وسأقة الجيش:
مؤخرته .

والسوق : موضع البياعات ويتعامل
فيها ، تذكر وتؤنث ، وكأن التجارة
والبيضاة تسأق إليها والكثير من هذا
الإبل وسائر الدواب .

أقول : عرفنا إلى هذا الحد معنى
السوق مصدراً ودلالته وانصرافه إلى
العسف والشدة ثم الاتساع فيه إلى غير
ما يراد به العسف ، ثم صلة المصدر
بـ(السوق) محل البياعات أي هو الموضع
تسأق هذه إليه .

وأبتعد قليلا عن هذا لآلح الأصل
الذي جاء منه المصدر ثم اسم المكان ،
وكأنني أراه في الساق وهو ساق
الإنسان وكل دابة . ولعل من هنا ذهب
به إلى ساق الشجرة فدل عليها تشبيها
بالأصل ، وقد نلمح أصل السوق في
الساق في قوله تعالى : (والتفت الساق
بالساق إلى ربك يومئذ المساق) ٢٩
سورة القيامة .

وقد انصرف الساق من معناها
الأصلي ، وهو ساق الإنسان وغيره إلى
الشدة في قوله تعالى . (يوم تكشف عن
ساق ويدعون إلى السجود فلا
يستطيعون) ٤٢ سورة القلم .

ومثل هذا قولهم : قامت الحرب على
ساق ، وهذه الساق إنما أريد بها الشدة
اتساعاً ؛ لآلحاً للأصل وهو الساق التي
تعلو القدم . وقد يشير إلى هذا قول
طرفة :

كشفت لهم عن ساقها

وبدا من الشر الصراح

والناس يشمرون عن ساقهم

ويشمرون للهرب عن شدة الأمر حتى قيل
للأمر الشديد : ساق ؛ لهذه الصلة .

ولصلة الساق بالشدة دلت على
النفس التي تعرض لها الشدة ويدل على
هذا قول عليّ - عليه السلام - في حرب
الشرارة : لا بد من قتالهم ولو تلفت
ساقني !

أقول : وبعد هذا الاستقراء للمصدر
السوق والوصول إلى ساق أستطيع أن
ألمح أن المصدر يومئ إلى أصله . وهو
الضرب على الساق ، وفي هذا عسف
وشدة .

١٠ - استلاب :

وهذه كلمة جديدة تكثر في استعمال
أهل الأدب والنقد تشير إلى خصوصية
حديثه تتجاوز عموم السلب بمعنى النهب
. وكأن الاستلاب لدى هؤلاء هو التجريد
عن حقيقة النص المستلب . على أني لا
ألمح صفاء هذه الدلالة فيما يكتب هذا
النفر من أهل الأدب الجديد وقد يكون
فيما يقصدون البعد عن الأصل .

أقول : إن عامة أهل الأدب الجديد

يلمحون فيستعملون الكلم أحياناً فيما يوحيه إليهم ، فلم يكونوا على ثقة من الدلالة ، ومن هنا لا يكون للكلمة صفاؤها وحقيقتها .

والاستلاب في استعمالهم لا يشعرك بصفاء الكلمة وحقيقة وضعها ، ذلك أن الأصل في الفعل هو معنى السلب ، واستلبه مثل سلبه .

وقد يكون هذا لأنهم يقرؤون في غير العربية شيئاً فلم يستطيعوا أن يديروه في العربية ، فيكون منهم تعلق وتخبط ببعض ما قرأ في أنفسهم .

وأنت ترى هؤلاء قد قذفوا إلى العربية كلمات صرفت إلى غير ما عرفت به ، ومجازات أخرى ما كان لنا بها عهد ، والصحف في عصرنا ميدان لهذا الجديد ، وبعضه يثير الدهشة والغرابة ، ألا ترى مثلاً قولهم : إن الأدب المطروح في الساحة أو على الساحة يشير إلى تحول فكري ، وتبتئس لهذا المطروح الذي كان من دلالاته المرفوض أو المجفوف الذي لا تقبل إليه النفوس وقد كان لنا

منه شيء من معجم جديد ، ولا أراني مع القائلين بأن هذا الجديد خطأ ليس من العربية لأنك تسمعه لشيوعه في قوم أحسبك تعرف لهم مكانتهم ، وقد يطرق سمعك أن تجد لدى نفر من وعاظنا يهرعون إلى هذا الجديد آخذاً بالمعاصرة التي فتنت الجميع .

ألا ترى أنهم قالوا : «الأصوليون» ، ولا يريدون أهل علم أصول الفقه مثلاً ، ولكنهم يريدون قوما نبزهم بالحفاظ على قديم من التقوى والورع والزهد لا يقرونه في هذا العصر ، فهم محافظون مسيئون بزعم الذين أسموهم أصوليين ، وقد تقرأ من نعت هؤلاء الأصوليين أنهم متشددون ولا يخرج التشدد في استعمال هؤلاء مما كنا نسمعه من وصفهم بالرجعيين هذا الوصف الذي غبر عليه الزمان .

وما أظنك تخالفني إذا قلت : إن التقدمي أو التقدمية قد جنح إلى نوع من الكلم التاريخي العتيق بسبب ما كان وما يكون من هذا الذي زلزلت به الأرض

حين وقعت الواقعة فرحنا نتشبت بهذا
الرغيل المستعرب . وأعود إلى شيء من
ألفاظي التي شغلت بها .

١١ - شردمة :

الشردمة : القليل من الناس ، وقيل :
شردمة بالبدال ، قال تعالى : (إن هؤلاء
لشردمة قليلون) ٥٤ سورة الشعراء .

ولبسط الكلام على هذه المفردة نقول :
لعل هذه مما كان اللغويون الأقدمون
يبحثون فيه من مسألة الرباعي وردّه
إلى أصلين ثلاثيين . وكانوا في هذا
السعي أهل علم ونظر وتدقيق ، فهم
يستنبطون الأصلين الثلاثيين بالنظر في
الدلالة والمعنى .

وأقول : كآني في هذه الكلمة أنظر
إلى الفعل شرم ودلالة الشرم معرفة ،
وانظر إلي رزم . ورزم أنفه يرزم رزماً :
قطر . وقصعة رزم : ملأني تصبب
جوانبها حتى إن جوانبها لتندى أو كأنها
تسيل دسماً لامتلأها ..

ثم يأتي بناء الرباعي وهو منحوت
من الأصلين كما قالوا في صلدم من
الصلد والصددم .

انتهى الكلام على البناء .

فأما الدلالة فقد ذكرنا المعنى في
فصيح العربية ، ولكن المعاصرين جنحوا
بالشردمة نحو السلب فلا يكادون
يستعملونها إلا نبزا ولا سيما في حالة
الجمع فهم يقولون مثلاً : إن شُذَّاذ
الآفاق وشراذم الصهاينة دمرت
الحواضر وقلعت الشجر والنبات .

أقول : إن الذهاب بالكلمة إلى هذه
الخصوصية جنوح إلى الجانب السلبي
من الدلالة .

١٢ - المنشقون :

وصف جديد لرأي جماعة صغيرة أو
كبيرة تنفصل عن جماعة أكبر منها هي
الجماعة الأم ، أو الحزب الكبير وهذا
حاصل في الأحزاب السياسية ،
والجماعات الدينية ونحوها .

أقول : قد يقال : وأي شيء في هذا ؟
والجواب أن هذا يندرج في باب المولد
الجديد ، ولو فتشت عن هذه الفئات
المنشقة وجدت أنها لم تنعت هذا النعت
إلا لأن أصحابها أخذوا الوصف مما هو

معروف شائع في اللغات الأعجمية ولا سيما الغربية ، وقد تجد نظير هذا وصفهم الانفصاليين .

وقد يكون لي ، وأنا أبسط القول في هذا الجديد ، أن أذكر جماعة المعتزلة في التراث الإسلامي ، وأنا أتذكر من أصحابهم الأول واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري فلحق به أصحابه ، وكان من ذلك أن ظهر شيئاً فشيئاً مصطلح المعتزلة ، ثم كان لهم رأيهم في مسائل معينة وصاروا أهل العدل والتوحيد .

١٣- الطروحات :

لا بد لي أن أبسط الأمر في الفعل وهو طرح فأقول . طرح بالشئ وطرحه يطرحه طرحاً واطّرحه : رمى به .

والطرح : الشئ المطروح لا حاجة لأحد فيه .

وطّرحه تطريحا ، إذا أكثر من طرحه واطّرحه أي أبعدده .

وطرح عليه مسألة : ألقاها ، قال ابن سيده : وأراه مولداً ، والأطروحة :

المسألة تطرحها .

أقول : والذي رآه ابن سيده مولداً قريب مما نحن فيه .

إن الطروحات مادة تدخل جمع الجمع، وقد عرفت هذا العربية المعاصرة، وقد لجأ إليها المعاصرون لفائدة فنية ، فأنت تجد الدفوعات والحسامات والقبوضات في حيز الصيرفة . كما وجدنا الفيوضات في الأدب الصوفي . وأنت تجد مثل هذا لدى العامة في قولهم: رسومات لمجموعة ما يرسم .

وكان الطروحات ، وهي جمع بالالف والتاء لطروح التي هي جمع طرح المفرد ، من باب جمع الجمع وتفيد جملة ما يطرح من آراء أو حلول في مسألة من المسائل ، وكأنها تعني الأطاريح جمع أطروحة التي مر ذكرها .

وأما الطرح بمعنى الاطّراح وهو الرمي بالشئ وإبعاده فلم يبق في استعمال المعربين في العربية المعاصرة .

٤- التطرف والمتطرف

وأبدأ بالطرف بفتحيتين ، وهو الناحية من النواحي ، والطائفة من الشيء ، قال تعالى : (وأقم الصلاة في النهار وزلفا من الليل) ١١٤ سورة هود .

يعني الصلوات الخمس فأحد طرفي النهار صلاة الصبح والطرف الآخر فيه صلاتا العشي وهما الظهر والعصر ، وقوله : وزلفا من الليل ، يعني صلاة المغرب والعشاء .

وأعود إلى التطرف والمتطرف فأقول : إذا كان أغلب القوم على رأي معين أو طريقة معينة وتنفرد طائفة منهم إلى رأي مخالف أو يضاد رأي عامة الجماعة ، وصفت هذه الطائفة القليلة العدد بالتطرف وهي متطرفة .

لقد أهتمدى المعربون إلى هذا فكان معنى جديداً لبناء جديد من هذه المادة لم يعرف فيها . ولهذا كان لنا جماعات سياسية متطرفة ، وفرق دينية متطرفة .

٥- طموح :

ولننظر إلى استعمال الكلمة في

فصيح العربية فنجد :

طمحت المرأة تطمح طمّاحا ، وهي طامح : نشزت ، والطمّاح مثل الجمّاح . وطمحت المرأة أي تطمح إلى الرجال . وطمح بصرها إلى الرجل أي امتد وعلا . وطمحت بعينيها ، إذا رمت ببصرها إلى الرجل ، وامرأة طمّاحة .

وطمح الرجل يبصره يطمح طمّاحا : شخص . وطمح بصره إلى الشيء : ارتفع . ورجل طمّاح : بعيد الطرف ، وقيل شرّه .

وفرس طمح الطرف ، طامح البصر ، وطموحة : مرتفعة .

وطمح الفرس طمّاحا وطموحا : رفع يديه ، وبحر طموح الموج : مرتفعه ، وبئر طموح الماء كذلك .

أقول : أكتفي بهذا القدر المفيد من دلالة هذه المادة وأبنيها لأخلص إلى أن: الطموح مصدر لم يكن إلا للفرس ، ومعناه شيء من هيئة الفرس ، وأما ما كان للعاقل فهو الطّماح مثل الجمّاح مبنى ومعنى ، وهو أيضا الكبر والفخر

لارتفاع صاحبه . وأنت لا تجد الطموح
بمعنى التوجه إلى الأمور العالية وغيرها
حسية ومعنوية ، وغير العالية من المنافع
والمصالح الخاصة ، إلا في العربية
المعاصرة . وجملة هذه الدلالات
بخصوصياتها لا تلتقي بالدلالة القديمة
إلا من طرف بعيد .

وقد يكون مثل الطموح في العربية
المعاصرة استعمال المعربين في عصرنا
لمصدر آخر هو التطلع فهم يقولون مثلا :
لدي فلان تطلعات بعيدة . وهم في قولهم
قد صرفوا التطلع إلى غير البصر .

والتطلع مصدر يصل إلى مدخوله
بالحرف (إلى) ، فيقال : فلان يتطلع إلى
منصب الوزارة . وكأن المعربين ضمّنوا
الفعل والمصدر معنى الفعل شخص أو
توجّه ، غير أن الفعل في الاستعمال
القديم يصل إلى مدخوله من دون هذا
الحرف ، قالوا . تطلّعه بمعنى علمه .

٦- التظاهر والمظاهرة

من المفيد أن أعرض لهاتين الكلمتين
في أصل معناه فأنجد أن المصدر

الأول كالمصدر الثاني ذلك أن التظاهر
هو التعاون ، والمظاهرة، هي المعاونة .

وجاء في لغة التنزيل : (إن تظاهر
عليه فإن الله هو مولاه وجبريل) ٤ سورة
التحريم .

(قالوا ساحران تظاهرا) ٤٨ سورة
القصص .

(تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان) ٨٥
سورة البقرة .

وفي العربية : ظهرت عليه : أعنته ،
وظهر علي : أعانني ، واستظهر به أي
استعان .

وفي حديث أمير المؤمنين عليّ بن أبي
طالب : أنه برز يوم بدر وظاهر ، أي
نصر ، والظهير : العون ، يستوي فيه
الواحد والجمع ، قال تعالى : (والملائكة
بعد ذلك ظهير) أقول : وأتى إلى التظاهر
والمظاهرة في العربية المعاصرة فأجد
قول القائل : تظاهر الطلاب مطالبين
بحقوقهم وحدثت تظاهرة أو مظاهرة ،
قام بها العمال مطالبين بزيادة الأجور .

أقول : يشير الاستعمال الحديث إلى

الظهور مع الإعلان عن شيء يريده المتظاهرون . إن هذا قد صير إليه حاجة أهل هذا العصر إلى مادة جديدة تتسم بهذه الدلالة وبهذه الخصوصية لتكون مقابلة لما هو عند الغربيين وهو Demonstration أو Manifestation والغربيون قد وصلوا إلى هذا التطور في فئاتهم الاجتماعية ، وهم يخرجون لإظهار ما يطالبون به مع قوة وعنف أو استنكار لحالة هم فيها .

أقول : لقد آن لنا أن ندخل هذا الجديد الوافد إلى المعجم الحديث .

ولقد هرعت إلى المعجم العربي الأساسي ، وهو معجم حديث صنعه لجنة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، فلم أجد شيئاً من هذا فقد اقتصر فيه على ما ورد من معاني هذه المادة في المعجمات القديمة .

٧ - عصابة

أقول : جاء في العربية : إن العصابة والعصابة جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين ، وفي التنزيل العزيز: (قالوا لنن

أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون) ١٤ سورة يوسف.

(إن الذين جاؤا بالإفك عصابة منكم) ١١ سورة النور .

(وأتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) ٧٦ سورة القصص.

وقد قرئت عصابة في بعض شواذ القراءات (عصابة) .

ودلالة العصابة عامة غير مخصوصة بجماعة خير أو شر ، فقد تكون لهذا أو ذاك ، وهي العصابة أيضاً .

ومن المفيد أن أشير إلى أن العصابة كانت ذات دلالة عامة لا تختص بخير أو شر ولعل من هذا ما كان من ورودها في بيت للجواهري :

لي في العراق عصابة لولاهم

ما كان محبوباً إلى عراق

غير أننا نجد أن العصابة قد صير في استعمالها إلى جماعة الشر كاللصوص والمحتالين وغيرهم فلا تظفر

بها في غير هؤلاء ، فلا يقال مثلاً :
عصابة أهل الخير أو نحو ذلك .

إن هذا الانحياز قد غلب على الكلمة
في الاستعمال الحديث ، ومن حقنا أن
نقف عليه ولا نهرع إلى القول بالتجاوز
والخطأ .

٨ - عميل :

العمل مادة مهمة في عالمنا اليوم ،
وأصحاب العمل هم العاملون ، وهم
العمال الذين يؤلفون طبقة من المجتمع ،
وهم غير العاملين في الزراعة من
الفلاحين وغيرهم .

وأنت ترى أحزاباً سياسية أطلق
عليها أحزاب العمال ، وقد كان لهم أن
قبضوا على زمام السلطة ودبروا الأمور
وساسوا مجتمعات . والعمال قوانينهم
وأنظمتهم وطرائقهم في العيش والسلوك .

غير أننا لا نجد في المعجمات العربية
التي بين أيدينا قديمها وحديثها إلا مواد
قديمة لا تتصل بما يفهم من (العمل) في
عصرنا ، ولكننا نجد أشتاتاً قد تكون
مصدر فائدة تخص المضطلعين بهذا

العلم الجديد ، ومنها : العُملة ، والعمالة ،
والعمالة ، كله أجر ما عمل .

وقالوا : عملت القوم إذا أعطيتهم
إياها .

وفي حديث عمر - رضي الله عنه -
قال لابن السعدي : خذ ما أعطيت فإنني
عملت على عهد رسول الله - ص -
فعملني ، أي أعطاني عمالتي أي أجره
عملي ، فالعمالة رزق العامل .

أقول : لنا من هذه (العملة) وهي
النقد المتداول . (والعمالة) جملة من
يعمل في عمل يقال مثلاً : تهيأ العمل في
بلدان الخليج بسبب (العمالة) الوافدة .

وكأن المعنيين بالعمل ، وشؤون
الاقتصاد قد ولدوا (العميل) وهو الذي
يتعامل وإياه أهل العمل ، وكأنه في
بعض الشئون الزبون الذي يتردد على
صاحب العمل في متجره وحانوته .

غير أن أهل السياسة ومعهم أهل
الصحف قد جنحوا بـ(العميل) إلى معنى
ينبذ بالشر ، وتحول لديهم إلى من يعمل
جاسوساً أو مخبراً للدولة أو غيرها من

الدول الأجنبية . ونبرز (العميل)
(والعملاء) ، وكأن هذه الدلالة قد ظهرت
على الدلالة الأولى المتصلة بالعمل
الشريف .

ولي أن أختتم هذه بشيء قديم عن
المعاملة وهي في كلام أهل العراق
(المساقاة) لدى أهل الحجاز ، و(العملة)
القوم يعملون بأيديهم ضروبا من العمل
في طين أو حفر أو غيره .

٩ - استفزاز :

لنرجع قليلا إلى الأصل الثلاثي
المضعف (فز) فنجد أن (فزه) فزاً وأفزه.
أفزه وأزعجه وطير فؤاده وكذلك
(أفززته) قال أبو ذؤيب :

والدهر لا يبقى على حدثاته

شد أفزته الكلام مروّع

واستفزه من الشيء : أخرجه .

واستفزه : ختله حتى ألقاه في مهلكه.

واستفزه الخوف ، أي استخفه ، وفي

حديث صفية : (لا يفضبه شيء ولا

يستفزه) أي لا يستخفه . ورجل فز أي
خفيف .

وفي التنزيل العزيز (واستفزز من
استطعت منهم بصلواتك) ٦٤ سورة
الأسراء .

قال الفراء في (معاني القرآن) : أي
أستخف بصوتك ودعائك .

وكذلك قوله - عز وجل - : (وإن
كادوا يستفزونك من الأرض) ٦٧ سورة
الأسراء .

أي ليستخفونك . وقال أبو إسحاق
الزجاج في قوله : (ليستفزونك أي
(ليقتلونك) وقال أهل اللغة : كادوا
ليستخفونك إفزاعا يحملك على خفة
الهرب .

وقال أبو عبيد : أفززت القوم
وأفزعتهم سواء .

أقول هذا هو ملاك القول في (فز)
وما ينبني عليها . ولنا في هذا شيء في
عامية أهل العراق فأنت تسمع فيها مثلاً:
فز الولد ، أي انتفض مضطرباً منزعجاً
. ثم أتى إلى (استفزه) في العربية
المعاصرة فلا أراه بعيداً عما هو فصيح
العربية الذي بسطته مستشهداً بما ورد

في لغة التنزيل .

فأما (الاستفزان) المصدر الذي يرد في عربية الصحافة وما يتبعها فإنه يشير إلى ما يصنعه طرف أو ما يدبره ويحوك خيوطه ليثير طرفاً آخر فيكون رد فعل وجواب ، كأن يأتي الصهاينة إلى الحرم الإبراهيمي فيقومون بـ(تظاهرة) يغطونها بغطاء ديني فينشلون شيئاً يثير العرب أهل الأرض .

هذا مثل من (الاستفزان) الذي يتردد في العربية المعاصرة ، ومظاهره كثيرة لا تحصى .

٢٠ - انفعال :

قال أهل الصرف : فعلت الشيء فانفعل ، كقولاك : كسرتة فانكسر .

أقول : لم يصل إلينا استعمال (انفعل) في نص قديم ، ولو كان شيء من هذا لذكره أهل اللغة .

غير أن الصرفيين صاغوه وزنا ليقولوا : جاء على وزنه انكسر ، وهو الكسر من ذات الشيء ولم يكن من سبب عمل على الكسر .

وكان الذين ولدوا (الانفعال) لمحو أنه لم يحدث إرادة فاعل ، وأطلقه علماء النفس على كان يدعي لدى الأوائل منهم (عاطفة) كالفرح والحزن والدهشة والحزن ونحو ذلك .

وكثر استعمال (الانفعال) حتى حمل المعربين على صوغ (منفعل) وأطلقوه على من يستشيط غضباً لأي سبب يدعو إلى ذلك . وقد اكتسب (المنفعل) خصوصية لا تتجاوز الغضب وما يتأتى منه من نتائج .

ولعل مثل هذا إلى حد ما قول : (متشنج) للذي يستثيره الأمر ، ولو كان طفيفاً ، ويثور .

أقول : وأصل (التشنج) تقبض الجلد والأصابع وغيرهما ، قال الراجز :

قام إليها مشنج الأنامل

أغثي خبيث الريح بالأصائل

وقد شنج الجلد شنجاً فهو شنج ، وكذلك أشنج ، (تشنج) .

أقول : وقد توسع المعربون بهذا الفعل المزيد إلى ما ذهبوا إليه من صفة

(المتشنج) .

أقول : وهكذا كان (الانفعال)
(المنفعل) و(المتشنج) من مواد العربية
المعاصرة لخصوصية دلالية فيها .

٢١ - اقتراف :

ولنعد إلى استعمال الكلمة في فصيح
الكلمة العربية فنجد قرف الذنب وغيره
يقرفه قرفاً ، واقترفه : اكتسبه وفَعَلَهُ .
وقارف الذنب وغيره : داناه ولاصقه ،
قال تعالى : (ليقترفوا ما هم مقترفون)
١١٣ سورة الأنعام .

وكان دلالة (الكسب) في الفعل
(اقترف) تجاوزت الذنوب وما يدنو منها
إلى المال فجاء : اقترف الماء ، بمعنى
اقتناه وكسبه .

وإلى هذا التوسع في (الاكتساب)
غير المقيد بالذنوب ورد قوله تعالى : (ومن
يقترف حسنة تزيد له فيها حسناً) ٢٢
سورة الشورى .

وأعود إلى العربية المعاصرة فأجد
الفعل (اقترف) مخصصاً بالذنوب
والشروا الجريمة ولا يذهب إلى ما هو ضد

هذه المعاني .

٢٢ - الامتياز :

الميز : التمييز بين الأشياء ، تقول :
مزت بعضه من بعض فأنا أميزه ميزاً
وقد أمتاز بعضه من بعض ، ومزت
الشيء أميزه ميزاً : عزلته وفرزته .
وكذلك فامتاز ..

وفي التنزيل العزيز (حتى يميز
الخبيث من الطيب) ١٧٩ سورة آل
عمران .

وقرئ : (يميز) .

وقد تميّز وامتاز وانماز كله بمعنى ،
إلا أنهم إذا قالوا : مزته فلم ينمز لم
يتكلموا بها إلا على هاتين الصيغتين .

وتمييز القوم ، وامتازوا : صاروا في
ناحية ، وفي التنزيل العزيز : (وامتازوا
اليوم أيها المجرمون) ٥٩ سورة يس .
أي تميزوا ، وقيل أي انفردوا عن
المؤمنين .

وامتاز القوم إذا تنحى عصابة منهم ،
وكذلك استمتاز ، قال الأخطل :

فإن لا تُصيرها قريش بملكها

يكن عن قريش مستماز ومرحلُ

وفي الحديث : (لا تهلك أمتي حتى يكون بينهم التمايل والتمايز) أي يتحزبون أحزاباً ويتميز بعضهم من بعض ويقع التنازع .

و(تميز) من الغيظ : تقطع . وفي التنزيل العزيز : (تكاد تميز من الغيظ) ٨ سورة الملك .

أقول : و(الامتياز) بمعنى أعلا مراتب الجودة ، ومنه الوصف (ممتاز) كلاهما من العربية المعاصرة ، وكأن الشيء حين تميز عن غيره صرفوه إلى إيجابية مفرطة فكان أعلا من الحيد والحسم .

ومن أجل ذلك ذهبوا بـ(الامتياز) هذا المذهب ، وكذلك بـ(الممتاز) فالبضاعة (المتأزة) هي فوق الجيدة أو الحسنة ، والصحة (المتأزة) كذلك فوق الجيدة أو الحسنة ، ولم يكن لهذا الوصف هذه الخصوصية المفرطة .

وأين هذا من قول تعالى (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) .

وأين (التمايز) من الغيظ ، كما في الآية المذكورة في عربيتنا المعاصرة .

أقول : وشاع (الممتاز) صفة ونعتا لما استحسن استحسانا فائقا حتى حجب (الجيد) أو (الحسن) في موصوفات كثيرة ، فالطعام الممتاز ، واللباس ممتاز وغير هذا .

وقد تشيع الصفة للموصوف فيختص بها دون غيرها ، ألا ترى أننا نقول: عيد الأضحى (المبارك) وقلما نقول : عيد الأضحى السعيد ، ونقول : عيد الميلاد (المجيد) ، وهو عيد ميلاد السيد المسيح ، وكأن الوصف بـ(المجيد) ملازم لهذا العيد دون غيره من الصفات .

٢٣ - الانتفاضة :

لا بد لنا أن نورد أن (النُفُض) : أن تأخذ بيدك شيئاً (فتنفذه) أي تُزعزعه وتُترثره وتنفُض التراب عنه .

والنُفاضة والنُفاض : ما سقط من الشيء إذا نُفِض ، وكذلك هو ورق الشجر .

ومن أسماء الكتب (نُفاضة الجراب) .

والنَّفْضُ : ما انتَفَضَ من الشيء
كَحَمَلِ الشَّجَرَةِ ، وحَمَلِ النَّخْلِ ، وهو ما
تساقط في أصوله من التمر .

وهكذا (ينتفض) الثمر عن الشجرة
حين (تنتفض) .

أقول : توسَّع المعاصرون في الفعل
ونقلوه بضرب من الشبه إلى حركة
الناس وهم ينطلقون على مستعمر محتلٍّ
لأرضهم ظالم عاتٍ عتواً كبيراً فكانت
الانتفاضة وحديثها اليوم مشهور ، وهي
ملء السمع والبصر منذ سنوات عدة .

ولابد أن تدرج هذه من الناحية
التاريخية في المعجم العربي الحديث كما
اندرجت في اللغات الأجنبية .

٢٤ - نفعي :

أقول : النفع عند الضرر معروف ولا
حاجة أن نستشهد عليه لشيء من لغة
التنزيل العزيز أو غير ذلك . ولكني
سأقف على (نفعي) وهو صفة جديدة
يُنْبَزُ بها من يؤثر نفسه بالنفع على غيره
ويحتجج المنافع لنفسه .

وهذه الصفة قد نسبت إليها هذه

الخصوصية السلبية على طريقة النسب
وشاعت في عريقتنا المعاصرة .

٢٥ - تنمية ، إنماء ، النامي :

(النماء) الزيادة ، نَمَى يَنْمِي نَمْياً
ونُمياً ونَماءً : زاد وكثر ، وربما قالوا :
نما نمواً .

قال أبو عبيد : قال الكسائي : ولم
أسمع (ينمو) بالواو إلا من أخوين من
بني سليم ، قال : ثم سألت عنه جماعة
بني سليم فلم يعرفوه بالواو .

قال ابن سيده في (المحكم) : هذا
قول أبي عبيد ، وأما يعقوب فقال : ينمي
وينمو فسوى بينهما .

و(أنماه) الله إنماءً قال ابن بري :
ويقول نماء فيعدى بغير همزة .

و(نمّاه) ، فيعدّيه بالتضعيف ، قال
الأعور الشنّي ، وقيل ابن حدّاق :

لقد علمتُ عُميرةً أنَّ جاري

إذا ضنَّ المُنْمَى من عيالي
و(أنميت) الشيء و(نمّيته) : جعلته
نامياً .

أقول : وقد يكون مثل هذا :

(تحريك الأسعار ، والمراد من
(التحريك) هو (الرفع) ، والتحريك لا
يثير المشاعر والخواطر كما يثير ذلك
(الرفع) .

ومثل هذا قولهم : تحفظوا على السيد
وزير الدفاع ، والمراد بالتحفظ هو
السُّجُنْ أو نحوه ، والتحفظ أقلُّ إثارة من
(السجن) .

وأقول : أيضاً إن (الإنماء) والتنمية
مادتان اقتصاديتان في عصرنا أريد
بهما أن تكونا مقابلتين لما يناظرهما في
اللغات الغربية .

٢٦ - انتهازي :

أقول : لنا من هذه الكلمة الجديدة في

فصيح العربية :

(النُّهْزة) اسم للشيء الذي هو لك
مُعْرَض كَالْغَنِيمة . و(النُّهْزة) : الفرصة
تجدها من صاحبك .

ويقال : فلان نُهْزة المختلس أي هو
صيد لكل أحد ، ومنه حديث أبي
الدرداء :

وانْتَهَزَ الحقُّ إذا الحقُّ وُضِحَ
أي قَبِلَ وأسْرَعَ إليه .

هذا هو الأصل ، ولكن المعاصرين
ولّدوا هذا الوصف عن طريق النسب
وصرفوه إلى خصوصية سلبية .
فالانتهازي : الذي ينتهز الفرص
والظروف والمناسبات ليستحوذ على
منافع له .

إبراهيم السامرائي
عضو المجمع من العراق